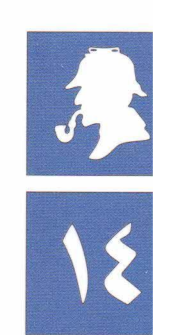
النص الكامل



مغامرات

شيرلوك هولمز

تأليف:
آرثر كونان دويل

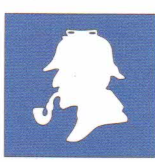
لُغز الطَّرْد البَريدي

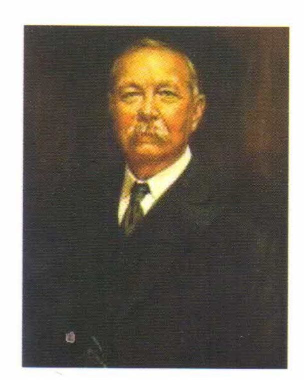


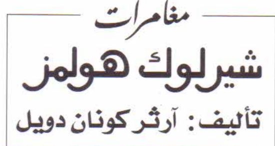


مات الأصلية









The Adventures of Sherlock Holmes



The Adventure of the Cardboard Box

US $ 1.35

سعر البيع ٥ ريالات





ISBN 2-1957-3353-6






بسم الله الرحمن الرحيم



ذكريات

شيرلوك هولمز

(٢)

لُغز الطَّرْد البَريدي

نُشرت للمرة الأولى في صحيفة «ستراند» الشهرية
في عدد كانون الثاني (يناير) ١٨٩٣

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سالي أحمد حمدي
تحرير: رمزي رامز حسّون



الطبعة الأولى
٢٠٠٧

العنوان الإلكتروني للناشر
info@al-ajyal.com

موقعنا على الإنترنت
www.al-ajyal.com



آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في إسكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجرّاحُ الشهير الدكتور جوزيف بِلْ، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جرّاحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورتْسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه إلى الكتابة أملاً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلاّت الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكّر في أساليب الدكتور بل في التشخيص وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري؛ وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة قرمزية» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجَّهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

كانت إحدى هذه الحوادث تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في

غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمَّد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولمّا كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى إسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل". وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوَّهاً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.



وفي عام ١٩٠٠ تطوّع الدكتور دويل في حرب البُوير (في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجرّاحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولقب «سير» تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته

إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

وتوفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.





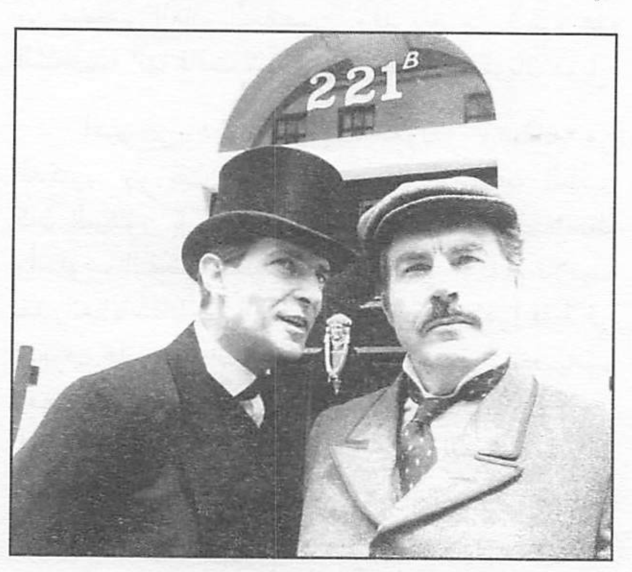
شيرلوك هولمز وعالَمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهرَ الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرةَ مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بِلْ الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بِلْ يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومِهَنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرِّح من الجيش حديثاً، وقد عدتَ لتوّك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل". وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة

على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوّحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالَمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحدّدها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨،



وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (٢٢١ب شارع بيكر) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته واطّلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَاوِية القصص الذي يقصّها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو). وهو طبيب وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وتخرج طبيباً سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش سنة ١٨٨٠ وأمضى مدة خدمته في أفغانستان مع الجيش البريطاني، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد في أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط. وقد تزوج الدكتور واطسون في أواخر سنة ١٨٨٦، لكن دويل لم يشأ أن يعرّفنا إلى زوجته ولم يذكر لنا اسمها.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية

عام ١٨٩٣ «قتل» دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.

* * *



قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جِفْسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة قرمزية»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يَكَد يُحِسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، وهي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصيةَ هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

وفي السنة التالية (١٨٩١) بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو)، فقوبلت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخَ من بابه الواسع، حيث صارت حديثَ المجتمع وشغلَ الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتَي عشرة نُشر آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتَي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرّير عند شلالات رايشِنْباخ في سويسرا! وقد نُشرت هذه القصة (وعنوانها «المشكلة الأخيرة») في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسّك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على «بعث» شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الخالي» التي نُشرت في مجلة «ستراند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد؛ فقد تبيّن أنه لم يُقتَل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الخالي) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شقّ طريقه بعد ذلك إلى بلاد

التبّت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراند» في بريطانيا ومجلة «كوليِرْز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشّاقه المخلَصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة «عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة روايةَ شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب عائلة باسكرفيل»، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة «الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣، ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (١٩١٤/٩-١٩١٥/٥)، وهي أعظم روايات شيرلوك هولمز كما يقول النقّاد. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٩٢١/١٠-١٩٢٧/٤) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألّف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية ورومنسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الغير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من المؤلفات نحو مئة وستين، منها ستّون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالِم اسمه البروفيسور تشالنجر، وأشهر هذه الروايات هي «العالَم المفقود»، ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات، وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيّباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سمّاه «ذكريات ومغامرات».

* * *



رسّام شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عددٌ من الرسّامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحَبَ روايات هولمز وقصصَه منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بَلْوَر صورة شيرلوك هولمز وطبَعَها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسعَ ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصّتَي «جزيرة الكنز» و«روبنسون كروزو»، لكن خطأً في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الستّ

الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيَته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زيّنت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسّامين آخرين، فشارك في رسم السلسة الجديدة «الظهور الأخير» كل من ولتر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وآرثر تويدل وجلبرت هاليدي وأليك بول وجوزف سمبسون. أما السلسلة الأخيرة -وهي «قضايا شيرلوك هولمز»- فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم أ. جلبرت وهاوارد إلكوك وفرانك وايلز.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند»، أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كوليِرْز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دورْ ستيل، ومنهم و هـ هايد وجوزف فريدرتش ورتشارد غوتشمت.

* * *

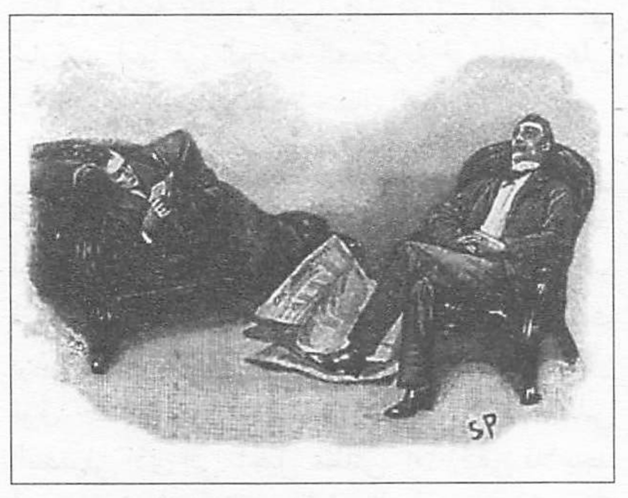
لُغز الطَّرْد البَريدي

كان يوماً ملتهب الحرارة من أيام آب، وكان شارع بيكر كالفرن، وبدا انعكاس أشعة الشمس على الحجر الأصفر للبيت الواقع في الناحية الأخرى من الطريق مؤلماً للعينين، حتى لَيصعب تصديق أن هذه الجدران هي نفسها التي بدت كئيبة في ضباب الشتاء. ولم تكن درجة الحرارة التي سُجِّلت (إذ أشار ميزان الحرارة إلى ثلاث وثلاثين درجة مئوية) لتمثّل صعوبة بالنسبة إليّ، فقد درّبتني الفترة التي شاركت فيها في الخدمة العسكرية في الهند على احتمال الحرارة أكثر من احتمال البرودة.

كانت ستائرنا نصف مغلَقة وهولمز يرقد على الأريكة يقرأ خطاباً جاءه مع بريد الصباح مرة بعد أخرى. ولم تحمل صحيفة الصباح أي أخبار مشوقة، فقد انفضّ البرلمان وغادر الناس المدينة. وأحسست برغبة في قضاء إجازة وسط غابات نيوفورست أو فوق حصى بحر الجنوب، ولكن استنفاد حسابي المصرفي أدّى إلى تأجيل عطلتي. أما رفيقي فلا يجد أي جاذبية لا في البرّ ولا في البحر، بل هو يحبّ

أن يبقى وسط خمسة ملايين شخص ليمدّ شعيرات استشعاره فتجري بينهم وتبحث عن كل إشاعة أو شكّ في جريمة غير محلولة؛ فلا مكان بين مواهبه المتعددة لتقدير جمال الطبيعة.

حين وجدت أن هولمز مستغرق جداً ولا مجال لمحادثته رميت بالجريدة المملّة جانباً ثم اضطجعت في مقعدي وغرقت في تفكير عميق، وإذا بصوت رفيقي يقتحم عليّ أفكاري قائلاً: أنت على حق يا واطسون؛ تلك كانت أكثرَ الطرق جنوناً في تسوية النزاع.



Sydney Paget 1893 رسم سدني باجيت ١٨٩٣

هتفت قائلاً: الأكثر جنوناً، نعم.

وفجأة أدركت أنه قد نطق بالأفكار التي كنت أقلّبها في عقلي، فاعتدلت في مقعدي وحدّقت إليه بذهول واضح وصحت قائلاً: ما هذا يا هولمز؟! لقد فاق ذلك كل ما أستطيع تخيُّله!

ضحك من حيرتي بعمق وقال: هل تذكر حين قرأت لك منذ بعض الوقت فقرة من واحدة من قصص إدغار ألان بو، وفيها يتتبّع الباحث المنطقي فكرة من أفكار رفيقه، وقد كنتَ ميّالاً إلى التعامل مع الموضوع على أنه مجرّد اختلاق من المؤلف، وحين أخبرتك أن من عادتي أن أفعل ذلك باستمرار أبديت شكّك وعدم تصديقك؟

- لا!

- ربما ليس بلسانك يا عزيزي واطسون، ولكن بحاجبَيك بالتأكيد، ولذلك حين رأيتك تلقي بالجريدة وتغرق في سلسلة من الأفكار كنت سعيداً جداً لأنني حظيت بفرصة لقراءة أفكارك ثم اقتحامها كدليل على صلتي بك.

ولكنني كنت مازلت بعيداً عن الاقتناع فقلت: ولكن في المثال الذي قرأته لي يستخلص الباحث

استنتاجاته من أفعال الرجل التي يلاحظها، وإذا كان ما أتذكره صحيحاً فقد اصطدم بكومة أحجار ونظر إلى النجوم وما إلى ذلك، أمّا أنا فكنت أجلس في مقعدي بهدوء، فما هي الإشارات التي أعطيتها لك؟

- أنت تظلم نفسك؛ فالملامح وُهبت للإنسان كوسيلة للتعبير عن مشاعره، وملامحك معبّرة جداً.

- أتقصد أن تقول إنك قرأت سلسلة أفكاري من خلال ملامحي؟!

- نعم، ولا سيما عينيك. قد لا تستطيع بنفسك أن تتذكر كيف تبدأ أحلام يقظتك.

- نعم، لا أستطيع.

- سأخبرك إذن. بعد أن رميتَ الجريدة (وهو التصرف الذي لفت انتباهي إليك) جلستَ نصف دقيقة بلا أي تعبير، ثم استقرّت عيناك على صورة الجنرال غوردن في إطارها الجديد، وفهمت من التعبير المرتسم على وجهك أن سلسلة أفكارك بدأت ولكنها لم تحملك بعيداً بعد، ثم انتقلت عيناك بشكل سريع إلى صورة هنري وارد بيشر

التي تضعها فوق كتبك بلا إطار، ثم نظرت إلى الجدار، وبالطبع كان المعنى واضحاً؛ فقد كنت تفكّر في أنك لو وضعت الصورة في إطار فسوف تغطي المكان الخالي من الجدار وتتوافق مع صورة غوردن هناك.

هتفت قائلاً: لقد تتبّعت أفكاري بروعة!

- حتى الآن كان الأمر سهلاً، ولكنك عدت بأفكارك إلى بيشر وأمعنت النظر كما لو كنت تدرس صفات شخصيته من خلال ملامحه، وبعد ذلك بدأت عيناك بالتغضّن، ولكنك مضيت في النظر بإمعان وبدا وجهك مستغرقاً في التفكير؛ كنت تسترجع الأحداث البارزة في سيرة بيشر، وكنتُ أعلم جيّداً أنك لن تفعل ذلك بغير التفكير بالمهمّة التي قام بها لمصلحة الشمال في وقت الحرب الأهلية لأنني أتذكّر كيف عبّرتَ عن سخطك العميق للطريقة التي استقبله بها الناس، ولأن مشاعرك كانت قوية تجاه هذا الموضوع فقد عرفت أنك لن تستطيع التفكير في بيشر دون التفكير بهذا الأمر أيضاً، وعندما وجدت عينيك تبتعدان عن الصورة بعد ذلك بدقيقة شككت أن تفكيرك قد تحوّل إلى الحرب الأهلية، وحين لاحظت انطباق شفتيك وبريق عينيك وقبضة

يديك كنت متأكداً أنك تفكّر حقاً في الشجاعة التي أظهرها الجانبان في ذلك الصراع اليائس، وبعدها أصبح وجهك أكثر حزناً وهززت رأسك؛ لقد كنتَ تمعن التفكير في الحزن والفزع والموت بلا فائدة، وتسلّلَت يدُك نحو جرحك القديم وظهرت ابتسامة مرتعشة على شفتيك أظهرَت لي أن الجانب غير المعقول من هذا الأسلوب في حلّ الخلافات العالمية قد اقتحم تفكيرك، وعند هذه النقطة اتفقت معك على أن الحرب كانت خياراً مجنوناً منافياً للعقل، وكنت سعيداً بمعرفة أن كل تخميناتي كانت صحيحة.

قلت: بالتأكيد، والآن بعد أن شرحتَ الأمر فعليّ أن أعترف أنني مازلت مذهولاً كما كنت من قبل.

- لقد كان الأمر بسيطاً جداً يا عزيزي واطسون، وأؤكد لك أني لم أكن لألفت انتباهك إليه لو لم تُظهِر عدمَ التصديق في ذلك اليوم. على أي حال فإن بين يديّ الآن مشكلة صغيرة قد تكون أكثر صعوبة في حلّها من مقالي الصغير عن قراءة الأفكار. هل لاحظت في الصحيفة خبراً صغيراً يشير إلى المحتويات الغريبة التي كانت في علبة أُرسلت

بالبريد إلى الآنسة كوشنغ التي تسكن في شارع كروس في كرويدن؟

- لا، لم أرَ شيئاً من هذا.

- لا بدّ أنك أغفلته إذن. ناولني الجريدة، آه، ها هو تحت العمود المالي، أرجو أن تقرأه بصوت عال.

التقطت الجريدة التي قذفها باتجاهي ثانية وقرأت المقطع الذي كان عنوانه «الطرد الرهيب»، وقد جاء فيه:

> الآنسة سوزان كوشنغ التي تعيش في شارع كروس في كرويدن كانت ضحية لِما يجب أن نعتبره مزاحاً مثيراً للاشمئزاز بطريقة غريبة، ما لم تَجِدّ ملابسات سيئة للحادثة. ففي الثانية بعد ظهر أمس استلمت بالبريد عبوة صغيرة ملفوفة في ورق بنّي وبداخلها صندوق من الورق المقوّى مملوء بالملح غير المكرَّر، وحين قامت الآنسة كوشنغ بتفريغ الصندوق أصيبت بالفزع حين وجدت فيه أذنين بشريتين يبدو أنهما قد انتُزعتا من صاحبهما حديثاً! وقد أُرسل الصندوق من قسم الطرود في

بلفاست في صباح اليوم السابق، ولم يظهر على الصندوق أي دليل على المرسل.

ويزداد الأمر غرابة حين نعرف أن الآنسة كوشنغ سيدة عزباء في الخمسين من عمرها تعيش حياة منعزلة وليس لها إلا القليل من المعارف ممن يمكن أن يراسلوها، ولذلك فمن النادر أن تتلقى أي شيء بالبريد. وقد أجّرت شققاً في منزلها لثلاثة من طلبة الطب منذ عدّة سنوات عندما كانت تسكن في بنغ، ولكنها اضطُرّت إلى التخلّص منهم بسبب ضوضائهم وعاداتهم غير المنظّمة، وفي رأي الشرطة فإن هذه الجريمة قد ارتُكبت في حقّ الآنسة كوشنغ على يد هؤلاء الشبان الذين ربما حملوا لها الضغينة ورجوا أن يخيفوها بإرسال أذنين حصلوا عليهما من المشرحة، واحتمال هذه النظرية يرجع إلى حقيقة أن واحداً من هؤلاء الطلبة أيرلندي، وحسب معرفة الآنسة كوشنغ فقد كان من بلفاست.

ويجري في الوقت الحاضر التحقيق في هذا الموضوع بنشاط، حيث يتولى مسؤوليةَ القضية السيدُ ليستراد، وهو واحد من أذكى المحقّقين.

قال هولمز عندما أنهيت القراءة: هذا هو سير الأحداث حسب ما أوردَته جريدة الديلي كرونيكل. والآن لننتقل إلى صديقنا ليستراد، فقد تسلمت منه هذا الصباح هذه الرسالة التي تقول:

أظن أن هذه القضية في مجال تخصّصك؛ فقد كنا نأمل أن نكشف الأمر ولكننا وجدنا صعوبة في الحصول على شيء نبدأ العمل به. لقد أرسلنا برقية إلى مكتب بريد بلفاست بالطبع، ولكنا وجدنا أن عدداً كبيرا من الطرود قد سُلِّم في ذلك اليوم، وليست لديهم أي وسيلة للتعرف على هذا الطرد بالذات أو تذكّر مرسله. إن الصندوق المرسَل هو صندوق تبغ من الحجم الذي يستوعب ربع كيلوغرام، وهو لا يساعدنا بأية حال. لا تزال نظرية طلبة الطب تبدو لي الأكثر احتمالاً، ولكن إذا كان لديك بعض الوقت فيسعدني أن أراك هنا، وسوف أكون في بيتي أو في مركز الشرطة.

ثم عقّب هولمز قائلاً: ما رأيك يا واطسون؟ هل يمكن أن تتحمل الحرارة وتذهب معي إلى كرويدن لتحظى بقضية تضيفها إلى سجلّك؟

- لقد كنت أتشوق إلى عمل شيء ما.

- ستحظى بذلك إذن. اقرع الجرس للبوّابين وقل لهم أن يطلبوا لنا عربة أجرة، وسوف أعود خلال دقيقة بعد أن أبدّل ملابسي.

* * *

هطل مطر غزير ونحن في القطار، وكانت الحرارة في كرويدن أقلّ منها في المدينة. وكان هولمز قد أرسل برقية، فوجدنا ليستراد ينتظرنا في المحطة، وقد وجدته رجلاً نحيلاً نشيطاً متربصاً أشبه بحيوان الصيد!

مشينا لنحو خمس دقائق لنصل إلى شارع كروس حيث تسكن الآنسة كوشنغ. كان شارعاً طويلاً جداً منازلُه مكوَّنةٌ من طابقين من الحجر، وكانت منظمة أنيقة ذات درجات حجرية بيضاء. وكانت هناك مجموعات صغيرة من السيدات وقد ارتدين المئزر وانهمكن في القيل والقال على أبواب المنازل.

في منتصف الشارع توقف ليستراد ودقّ على أحد الأبواب، ففتحته خادمة صغيرة قادتنا إلى الغرفة الأمامية حيث جلست الآنسة كوشنغ. كانت سيدة

ذات وجه هادئ وعينين واسعتين لطيفتين وشعر أشيب تلتوي أطرافه على صدغيها من الجانبين، وكان على حجرها غطاء مطرَّز، وقد وضعت على مقعد بلا ذراعين بجانبها سلّة من الخيوط الحريرية الملوَّنة.

قالت حين دخل ليستراد: أتمنى أن تأخذ هذه الأشياء المريعة بعيداً... إنها في الغرفة الخارجية.

- هذا ما سأفعله يا آنسة كوشنغ. لقد احتفظت بها هنا حتى يراها السيد هولمز في حضورك.



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

- ولماذا في حضوري يا سيدي؟!

- لأنه قد يسألك أي سؤال.

- ما الفائدة من سؤالي أية أسئلة وقد قلت لكم إنني لا أعرف أي شيء عن الموضوع؟

قال هولمز بطريقة مهدّئة: تماماً يا سيدتي، ليس لديّ أدنى شك في أنك قد عانيت بما فيه الكفاية بسبب هذا الأمر؛ فهو قد سبّب لك ما يكفي من الإزعاج.

- بالفعل يا سيدي، فأنا امرأة هادئة أعيش حياة منعزلة، ولم يسبق أن نُشر اسمي في الصحف أو دخل رجال الشرطة إلى منزلي. لن أسمح بدخول هذه الأشياء هنا يا سيدي، فلو أردت رؤيتها يجب عليك الذهاب إلى الغرفة الخارجية.

كانت تلك الغرفة سقيفة صغيرة في الحديقة الضيّقة الممتدة خلف المنزل، وقد دخلها ليستراد فأحضر علبة من الورق الأصفر المقوّى ومعها قطعة من الورق البني وقطعة من الخيط. وجلسنا جميعاً على مقعد في آخر الممرّ حين أخذ هولمز يفحص الموادّ التي أعطاها له ليستراد واحداً بعد الآخر.

رفع الخيط أمام الضوء ثم شمّه وعلّق قائلاً: هذا الخيط مثير للاهتمام بشكل استثنائي. ما رأيك بهذا الخيط يا ليستراد؟

- إنه مُقَطرَن.

- بالضبط، إنه قطعة مقطرَنة من الحبل المجدول. وطبعاً لاحظت أن الآنسة كوشنغ قد قطعت الحبل بالمقصّ؛ هذا واضح من التنسيل المزدوج على الجانبين. هذا شيء مهمّ.

قال ليستراد: لا أستطيع أن أرى أهمية ذلك.

- تكمن الأهمية في حقيقة أن العقدة قد تُركت سليمة، وهذه العقدة ذات طبيعة خاصّة.

قال ليستراد: إنها ربطة دقيقة، وقد كتبت ملحوظة بهذا المعنى.

قال هولمز مبتسماً: يكفينا هذا عن الخيط إذن. والآن نأتي إلى غلاف الصندوق، وهو من الورق البني الذي تفوح منه رائحة البنّ بوضوح. ماذا؟ ألم تلاحظها؟ أحسب أنه لا مجال للشكّ في ذلك. أما عن العنوان فإنه مطبوع بحروف غير منتظمة نوعاً ما. «الآنسة س كوشنغ، شارع كروس، كرويدن». وقد

كُتب بقلم طرفه عريض وبحبر رديء جداً، وكلمة «كرويدن» كُتبت في الأصل بتهجئة غير صحيحة ثم تمّ تصليحها. كما أن الطرد قد أرسله رجل، فالطباعة ذكورية مميَّزة، وهو محدود التعليم وليس على معرفة بمدينة كرويدن. حتى الآن الأمور واضحة، وصندوق التبغ الأصفر هذا من فئة ربع كيلو لا يميّزه أي شيء إلا علامة لإصبعين في زاويته السفلى من جهة اليسار، وهو مملوء بملح غير معالَج من النوع المستخدَم في حفظ الجلد المدبوغ، وقد طُمرت هذه المحتويات الغريبة في داخله.



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

قام بإخراج الأذنين في أثناء كلامه، حيث وضع قطعة من الكرتون على ركبتيه وفحصهما بدقّة، في حين ملت أنا وليستراد إلى الأمام على جانبيه ورحنا ننظر منقّلَين بصرنا بين تلك القطع المرعبة والوجه المفكر المتلهف لرفيقنا.

وأخيراً أعادهما إلى الصندوق وجلس لوهلة في تأمّل عميق، وأخيراً قال: لقد لاحظتَ بالتأكيد أن الأذنين غير متطابقتين؟

- أجل، لاحظت ذلك، ولكن لو أنها مزحة من بعض الطلبة من غرفة التشريح فمن السهل عليهم أن يحصلوا على أذنين مختلفتين بنفس سهولة حصولهم على أذنين متطابقتين.

- بالضبط، ولكن هذه ليست مزحة.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- الحدس يعارض هذا الافتراض بشدّة؛ فالأجسام في غرف التشريح تُحقَن بسائل للحفظ، وهاتان الأذنان لا تحملان أي أثر لذلك، كما أنهما جديدتان وقد قُطعتا بأداة غير حادّة، وهذا أمر لا يحدث إذا قام بالعمل طالبُ طبّ، كما أن الفورمَلين والكحول المقطَّر سيفرضان نفسيهما كمادة حافظة

على العقل الطبي بالطبع وليس الملح الخام.

سكت قليلاً ثم مضى قائلاً: أكرّر أنه لا مزحةَ هنا، بل إننا نحقّق في جريمة خطيرة.

عندما استمعت إلى أقوال رفيقي سرَت في جسدي قُشَعْريرة غريبة، ورأيت نظرة الجِدّ الشديد التي كست ملامحه، وقد بدا هذا التمهيد القاسي وكأنه يلقي بظلال من الرعب الغريب وغير القابل للتفسير على الأحداث، وإن كان ليستراد قد هزّ رأسه وكأنه لم يقتنع بعدُ تمام الاقتناع.

قال: توجَد بعض الاعتراضات على نظرية المزحة بلا شكّ، ولكن الحجج أقوى بكثير ضدّ النظرية الأخرى؛ فنحن نعرف أن هذه المرأة قد عاشت حياة هادئة محترَمة في بنغ، وهنا أيضاً خلال السنوات العشرين الماضية، ولم تكن تقضي يوماً واحداً بعيداً عن منزلها، فلماذا يرسل لها أي مجرم أدلّة إدانته؟ ولا سيما وهي لا تعرف عن هذا الموضوع أكثر منا.

أجابه هولمز: هذه هي المشكلة التي يجب أن نحلها. ومن جهتي فأنا سأبدأ بافتراض أن فرضيتي صحيحة وأن جريمة قتل مزدوجة قد تمّت. فإحدى

الأذنين لامرأة؛ فهي صغيرة ودقيقة الشكل، كما أن فيها ثقباً لقرط. أمّا الأخرى فلرجل؛ فهي محروقة متغيّر لونها بسبب التعرض للشمس، وفيها أيضاً ثقب لقرط. هذان الشخصان من المفترض أنهما ميتان وإلاّ لكنا سمعنا قصتهما من قبل. إن اليوم هو الجمعة، والطرد أُرسل صباح يوم الخميس، فالمأساة إذن حدثت يوم الأربعاء أو الثلاثاء أو قبل ذلك، وإذا كان هذان الشخصان قد قُتلا فمَن غير قاتلهما سيبعث بهذه الإشارة على ما فعله إلى الآنسة كوشنغ؟ يمكننا أن نفترض أن الرجل الذي أرسل الطرد هو مَن نسعى وراءه، ولكن لا بدّ أن يملك سبباً قوياً ليبعث بهذا الطرد إلى الآنسة كوشنغ، فما هو هذا السبب؟ لا بد أن يكون ذلك لإخبارها بأن الأمر قد حدث، أو ربما لكي يؤلمها، وفي هذه الحالة فهي تعرف مَن هو. هل تعرفه حقاً؟ أشكّ في ذلك، فلو كانت تعرفه فلماذا تستدعي الشرطة إذن؟ كان بإمكانها دفن الأذنين دون أن يعرف بالأمر أحد. هذا ما كانت ستفعله لو أرادت إخفاء الجريمة، ولو لم ترغب في إخفاء القاتل لصرّحت باسمه. في هذه القضية تناقض يجب علينا حلّه.

كان يتكلم بصوت عالٍ وبكلمات سريعة وهو

يحدّق إلى الفراغ من فوق سياج الحديقة، ثم هبّ واقفاً على قدميه ومشى باتجاه البيت قائلاً: لديّ بعض الأسئلة للآنسة كوشنغ.

قال ليستراد: في هذه الحالة سأتركك هنا حيث إن لديّ بعض الأعمال الأخرى، ولا أعتقد أنني سأحصل من الآنسة كوشنغ على أي شيء جديد. ستجدني في مركز الشرطة.

أجاب هولمز: سنبحث عنك ونحن في طريقنا إلى القطار.

بعد دقيقة عدنا إلى الغرفة الأمامية حيث كانت الآنسة الهادئة ما زالت تشتغل في غطائها، فوضعته على حِجْرها عندما دخلنا ونظرت إلينا متفحصة بعينيها الصادقتين الزرقاوين. قالت: أنا مقتنعة يا سيدي بأن هذا الأمر مجرّد خطأ وأن الطرد لم يكن مرسَلاً إليّ على الإطلاق، وقد قلت ذلك لضابط الشرطة عدة مرات، ولكنه سخر مني ببساطة! فأنا -حسبما أعرف- ليس لدي أي أعداء في العالَم، فلماذا يفعل معي أيُّ أحد هذه الفعلة؟

قال هولمز وهو يجلس بجانبها: لقد بدأت أكوّن نفس هذا الرأي يا آنسة كوشنغ، فأنا أعتقد أنه

أكثر من مجرّد احتمال.

ثم صمت، وفوجئت حين التفتُّ إليه برؤيته وقد أخذ يحدّق باهتمام شديد إلى الشكل الجانبي للسيدة، وللحظة كان بإمكاني قراءة علامات الدهشة والرضا على وجهه المتلهف! وبالرغم من ذلك فحين استدارت الآنسة كوشنغ لتعرف سبب صمته كان قد رجع رزيناً كعهده.

وقد حدقتُ بشدة إلى شعرها الأملس الأشيب وقبّعتها المرتَّبة وقرطها الذهبي الصغير ووجهها الهادئ، ولكنني لم أستطع رؤية السبب في الانفعال الواضح لرفيقي.

قال لها: لديّ سؤال أو اثنان...

صاحت الآنسة كوشنغ بنفاد صبر: لقد مللت الأسئلة!

- لديك أختان كما أعتقد، أليس كذلك؟

- كيف عرفت ذلك؟

- لقد لاحظت في اللحظة التي دخلت فيها إلى الغرفة أن على رفّ المدفأة مجموعة من ثلاث صور لثلاث سيدات، واحدة منها لك بلا شكّ،

والأخريان تشبهانك بشكل كبير بحيث لا يمكن الشكّ في وجود قرابة.

- نعم، أنت على حقّ؛ هاتان أختاي سارة وماري.

- وهنا صورة أخرى، وهي ملتقَطة في ليفربول لأختك الصغيرة ماري وهي في صحبة رجل يبدو من زيّه أنه بحّار، وأستطيع أن ألاحظ أنها كانت غير متزوجة في ذلك الوقت.

- أنت سريع الملاحظة جداً!

- إنها مهنتي.

- حسناً، أنت على حقّ، ولكنها تزوجت السير براونَرْ بعد ذلك بعدّة أيام، فقد كان يعمل على خط أمريكا الجنوبية حين التُقطت هذه الصورة، ولكنه كان مغرَماً بها جداً فلم يستطع أن يتركها لوقت طويل، فانتقل إلى العمل على السفن التي تبحر بين لندن وليفربول.

- آه، لعلها سفينة «الكونْكِرور»؟

- لا، بل «مايداي» على حسب ما سمعت آخر مرة. وقد جاء جيمس إلى هنا ليراني ذات مرة، وكان

ذلك قبل أن يخرق العهد، ولكنه بعد ذلك كان دائماً ما يشرب عندما يكون على البرّ، وكان قليل من الشراب يحوّله إلى الجنون التام! آه، لقد كان ذلك يوماً سيئاً حين عاد إلى الشراب مرة أخرى، فقد قاطعني أولاً ثم تشاجر مع أختي الأخرى سارة. والآن وقد توقفت ماري عن إرسال الخطابات فلم أعُد أعرف عن أحوالهما أي شيء.

كان من الواضح أن هذا الموضوع يمسّ مشاعر الآنسة كوشنغ بشدّة. في البداية بدت أميل إلى الخجل كمعظم الناس الذين يعيشون حياة وحيدة، ولكنها في نهاية الأمر أصبحت شديدة الصراحة وأخبرتنا بكثير من التفصيلات عن زوج أختها البحّار. ثم انتقلت إلى موضوع مستأجريها السابقين طلبة الطب، وأعطتنا أمثلة متعددة عن أفعالهم السيئة مع أسمائهم وأماكن عملهم، وقد أصغى هولمز إلى كل شيء بانتباه ملقياً عليها سؤالاً بين فينة وأخرى.

قال: إنني أتساءل عن أختك الثانية سارة. لماذا لا تعيشان معاً بما أنكما لم تتزوجا كلاكما؟

- آه، أنت لا تعرف طباع سارة وإلاّ لَما تعجبت من الأمر؛ فقد حاولت العيش معها عندما جئت إلى كرويدن وعشنا معاً حتى شهرين مضيا

حين اضطُررنا إلى الافتراق. أنا لا أريد أن أسيء إلى أختي، ولكنها فضولية وصعبة الإرضاء.

- تقولين إنها تشاجرت مع أختك وزوجها في ليفربول؟

- نعم، مع أنها كانت على علاقة طيبة بهما كليهما حتى وقت قريب، بل إنها قد ذهبت للعيش في ليفربول لتكون بقربهما، أمّا الآن فهي لا تكاد تجد الكلمة المناسبة لتصف بها جيم براونر. إنها لم تتكلم طوال الأشهر الستة الماضية إلا عن شربه للخمر وعن أفعاله السيئة، فلا بدّ أنه قد أمسك بها تتدخل فيما لا يعنيها -على ما أظن- فأسمعها رأيه فيها، وهكذا بدأ الموضوع.

قال هولمز وهو يقوم وينحني: شكراً يا آنسة كوشنغ، لقد قلت إن أختك تعيش في نيوستريت في والنغتون على ما أتذكر. وداعاً، وأنا آسف جداً على معاناتك من جرّاء قضية ليست لك بها علاقة كما سبق وقلت لك.

* * *

عندما خرجنا مرّت عربة أجرة، فأوقفها هولمز وسأل: كم تبعد والنغتون؟

- ميلاً واحداً فقط يا سيدي.

- ممتاز. اركب يا واطسون، يجب علينا الطَّرْق على الحديد وهو ساخن، فرغم بساطة القضية إلا أن فيها بعض التفصيلات المهمة. فلتتوقف بنا عند مكتب البرق في طريقنا أيها السائق.

أرسل هولمز برقية قصيرة، ثم اضطجع في عربة الأجرة لبقية الطريق وقبّعته مائلة على أنفه لتحجب الشمس عن وجهه. وأخيراً توقّف سائقنا



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

عند منزل شبيه بذلك الذي خرجنا منه للتوّ، وقد أمره رفيقي بالانتظار، وكان على وشك أن يدقّ الباب عندما فُتح فجأة وظهر على عتبته شاب رزين يرتدي ملابس سوداء وقبعة شديدة اللمعان. قال هولمز: هل الآنسة كوشنغ في المنزل؟

قال: الآنسة كوشنغ مريضة جداً وهي تعاني منذ أمس من أعراض دماغية شديدة، وأنا -كطبيب مسؤول- لا أستطيع تحمّل مسؤولية أن يقابلها أي شخص، وأنصحك بالمجيء ثانية بعد عشرة أيام.

ثم لبس قفازيه وأغلق الباب ومشى مبتعداً في الشارع، فقال هولمز بسرور: حسناً، إذا كنا لا نستطيع فليس بيدنا حيلة.

- ربما لم تكن لتخبرك بالكثير حتى لو استطاعت.

- لم أكن أريدها أن تخبرني بأي شيء؛ أردت النظر إليها فقط. على أية حال لقد حصلت على كل ما أريد. فلتأخذنا إلى فندق جيد أيها السائق حيث نستطيع تناول الغداء، وبعد ذلك سنذهب إلى صديقنا ليستراد في مركز الشرطة.

* * *

حظينا بوجبة ممتعة معاً، ولم يتكلم هولمز خلالها إلاّ عن كَمَانه الذي يساوي الآن خمسمئة جنيه على الأقل والذي اشتراه من سمسار في توتنهام كورت بمبلغ خمسة وخمسين شلناً! وقاده هذا الموضوع إلى العازف المشهور باغانيني، فجلسنا لمدّة ساعة وهولمز يخبرني بحكاية بعد أخرى من نوادر هذا الرجل الاستثنائي.

وصلنا إلى مركز الشرطة بعد الظهر بمدة طويلة وقد خفّ الوهج ليصبح شعاعاً لطيفاً، وكان ليستراد ينتظرنا عند الباب. قال: تنتظرك برقية يا سيد هولمز.

- حقاً؟ إنه الردّ.

فتحها بسرعة ومرّ بعينه على ما فيها، ثم حشرها في جيبه وقال: هذا جيد.

- هل اكتشفت شيئاً؟

- لقد اكتشفت كل شيء.

حدق ليستراد إليه بذهول وقال: ماذا؟! إنك تمزح.

- لم أكن أكثر جِدّاً في حياتي؛ لقد ارتُكبت

جريمة مروِّعة، وأعتقد أنني قد اكتشفت تفصيلاتها.

- والمجرم؟

كتب هولمز كلمات على ظهر بطاقة من بطاقاته ثم رمى بها إلى ليستراد وقال: هذا اسمه، ولكنك لن تستطيع القبض عليه قبل مساء الغد على الأقل. وأفضّل أن لا تذكر اسمي فيما يخصّ هذه القضية على الإطلاق، فأنا أفضّل أن يرتبط اسمي فقط بالقضايا التي تتميز ببعض الصعوبة في حلها. هيا بنا يا واطسون.

ثم مشينا معاً باتجاه المحطة تاركَين ليستراد وهو ما زال يحدّق بوجه سعيد إلى البطاقة التي قدمها هولمز إليه.

* * *

قال هولمز فيما كنا نشرب الشاي ونثرثر في مسكننا في شارع بيكر تلك الليلة: هذه القضية واحدة من القضايا التي تجبرنا على التحليل العكسي، حيث نبدأ بالنتيجة لنصل إلى الأسباب، تماماً كما حدث في تلك التحقيقات السابقة التي سجّلتَ أحداثها باسم «علامة الأربعة». لقد كتبت إلى ليستراد أطلب منه أن يبعث إلينا بالتفصيلات التي نحتاجها الآن والتي لن

يحصل عليها إلا بعد القبض على هذا الرجل، وأنا أثق في أنه سيفعل، لأنه بالرغم من كونه مجرَّداً من المنطق تماماً فهو عنيد ككلب الصيد عندما يعرف ما يجب عليه أن يفعله، ومثل هذا الإصرار هو بالتأكيد ما جعله على رأس إدارة سكتلنديارد.

سألت قائلاً: قضيتك ليست كاملة إذن؟

- إنها مكتملة في الأمور الأساسية، فنحن نعرف مَن قام بهذا العمل المقزّز، على الرغم من أننا لم نعرف بعد واحداً من الضحيتين. لقد كوّنتَ استنتاجاتك بالطبع؟

- أفترضُ أن جيم براونر هو مَن تشكّ فيه؟

- بل أكثر من الشك.

- وبالرغم من ذلك فأنا لا أستطيع فهم أي شيء فيما عدا بعض الإشارات المبهَمة.

- أنا على العكس منك، فالأمور واضحة تماماً بالنسبة إليّ. دعني أراجع معك الخطوات المبدئية، فقد باشرنا العمل في هذه القضية بعقل خالٍ تماماً كما أتذكر، وهذا دائماً ما يكون ميّزة، فنحن لم نكوّن أي نظرية مسبقة؛ كنا فقط هناك لكي نلاحظ

ونستخلص الدلالات من ملاحظاتنا، فما هو أول شيء رأيناه؟ سيّدة هادئة محترَمة بدت بريئة من كل سرّ، وصورة كشفت لي أن لها أختين أصغر منها... عندئذ ومضت في ذهني فكرة أن الصندوق ربما كان القصد به واحدة منهما. وضعت الفكرة جانباً لندحضها أو نؤكّدها في وقت فراغنا، وبعدها ذهبنا إلى الغرفة الخارجية في الحديقة -كما أتذكر- ورأينا المحتويات الفريدة في الصندوق الأصفر الصغير.

كان الحبل من ذلك النوع الذي يستخدمه البحّارة على السفن، وعلى الفور أحسست أن للبحر علاقة بتحقيقنا، وعندها لاحظت أن العقدة من العقد الشائعة عند البحّارة وأن الطرد قد أُرسل من ميناء وأن الأذن الرجالية قد ثُقبت لوضع قرط، وذلك أيضاً أكثر شيوعاً بين البحّارة منه بين رجال البرّ، ولذا صرت متأكداً من أننا سنجد كل المشاركين في مأساتنا بين أناس لهم صلة بالبحر.

وعندما فحصت العنوان على الطرد لاحظت أنه كان موجَّهاً إلى الآنسة «س. كوشنغ»، ويمكن بالطبع أن تكون هي الأخت الكبرى حيث إن الحرف الأول لاسمها هو «س»، ولكن الحالة نفسها تنطبق على واحدة من الأختين الأخريين، وفي تلك الحالة

يجب أن نبني تحقيقنا على أساس جديد تماماً، ولذلك ذهبت إلى المنزل الآخر وفي نيّتي توضيح هذه النقطة. وكنت على وشك التأكيد للآنسة كوشنغ أنني مقتنع بأن خطأ ما قد ارتُكب، ولعلّك تذكر أنني توقفت فجأة، والحقيقة أنني رأيت شيئاً أدهشني كثيراً، وفي الوقت ذاته ضيّق مجال بحثنا كثيراً.

أنت طبيب يا واطسون، ولذلك فأنت تدرك أن الأذن الإنسانية هي أكثر أجزاء الجسم اختلافاً؛ فأذن كل منا تتميز تماماً وتختلف عن آذان الآخرين، هذه قاعدة، وسوف تجد في عدد السنة الماضية من مجلة «علم الإنسان» دراستين قصيرتين بقلمي عن هذا الموضوع. وهكذا فقد فحصت الأذنين في الصندوق بعين خبير ولاحظت بعناية خواصّهما التشريحية، وتصوَّرْ دهشتي حين نظرت إلى الآنسة كوشنغ ولاحظت أن أذنها تتوافق تماماً مع الأذن الأنثوية التي عاينتها للتوّ!

كان الأمر بعيداً تماماً عن المصادفة، فلها نفس الأذن الخارجية القصيرة ونفس الالتواء للغضروف الداخلي. لقد كانت هي نفس الأذن في كل العناصر الأساسية. وبالطبع فقد عرفت الأهمية الكبيرة لتلك الملاحظة، فقد كان من الواضح أن الضحية كانت

على قرابة دم بها، ومن المحتمَل أنها من قريباتها المقرَّبات، ولذلك فقد بدأت أتحدّث معها عن عائلتها، وكما تذكر فقد أعطتنا تفصيلات في غاية الأهمية.

ففي المقام الأول كان اسم شقيقتها الأول هو سارة وعنوانها كان العنوان نفسه حتى وقت قريب، لذلك بات من الواضح كيف حدث الخطأ وإلى مَن كان الطرد مُرسَلاً. ثم سمعنا عن هذا الرجل المتزوّج بالأخت الثالثة، وعرفنا أنه في وقت ما كان على صلة عميقة بالآنسة سارة، حتى إنها ذهبت بالفعل إلى ليفربول لتكون قريبة من الزوجين، وإن كان نزاعٌ ما قد فرّق بينهم. هذا النزاع تسبّب في توقف كل الاتصالات لعدّة شهور، ولذلك فلو كان عند براوْنَر سبب لإرسال الطرد إلى الآنسة سارة فسوف يرسله إلى عنوانها القديم بلا شكّ.

والآن تبدو المسألة واضحة بشكل رائع؛ فقد عرفنا بأمر هذا البحّار، وهو رجل مندفع ذو انفعالات قوية، وكما تتذكر فقد ترك عمله الذي لا بدّ أنه كان رفيع المستوى ليكون قريباً من زوجته، كما أنه معرَّض لنوبات عرَضية من تأثير الإفراط في الشراب. وعندنا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أن

زوجته قد قُتلت، وأن رجلاً آخر يُحتمَل أن يكون بحّاراً قد قُتل هو الآخر في الوقت نفسه. وبالطبع تفرض الغيرة نفسها كدافع للجريمة، فلماذا تُرسَل أدلّة هذا الفعل إلى الآنسة سارة؟ لأن من المحتمَل أنها كانت لها يد في تصعيد الأحداث التي أدّت إلى



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

تلك المأساة حينما كانت مقيمة في ليفربول. وسوف تلاحظ أن سفن هذا الخطّ البحري ترسو في بلفاست ودبلن وواترفورد، ولذلك وبافتراض أن براونر قد ارتكب هذه الفعلة ثم أبحر في سفينته مايداي، فإن بلفاست هي الميناء الأوّل الذي يمكن أن يرسل منه هذا الطرد الرهيب.

في هذه المرحلة من مراحل القضية بدا حلٌّ آخر ممكناً. وبالرغم من أنه بدا بعيد الاحتمال بشكل كبير فقد كنت مصرّاً على التوثق منه قبل المضيّ قدماً في البحث؛ إن عاشقاً فاشلاً يمكن أن يكون قد قتل السيد والسيدة براونر، وفي هذه الحالة تكون الأذن الأخرى للزوج. وعلى الرغم من أنه كان على هذه النظرية الكثير من الاعتراضات الخطيرة إلاّ أنها كانت معقولة، ولذلك أرسلت برقية لصديقي ألغَرْ الذي يعمل في شرطة ليفربول وطلبت منه اكتشاف ما إذا كانت السيدة براونر في المنزل وما إذا كان السيد براونر قد أبحر في السفينة مايداي، وبعد ذلك ذهبنا إلى والنغتون لزيارة الآنسة سارة.

كنت فضولياً بالدرجة الأولى لمعرفة مدى تشابه أذنها مع الشكل المميَّز لآذان العائلة، وكان يمكنها بالطبع تزويدنا بمعلومات مهمة جداً، وإن

لم أكن واثقاً أنها كانت ستفعل ذلك، فلا بدّ أنها سمعت بالأمر في اليوم السابق لأن كرويدن كلها تضجّ به. وهي الوحيدة التي كان بإمكانها معرفة الشخص الذي أُرسل هذا الطرد إليه في الأصل، فلو أرادت مساعدة العدالة لكانت قد اتصلت بالشرطة قبل الآن على الأرجح. على أية حال كان من واجبنا رؤيتها، ولذلك ذهبنا إلى بيتها فوجدنا أن خبر وصول الطرد قد أثّر فيها لدرجة أنه تسبب في إصابتها بحمّى الدماغ، لأن مرضها وافق نفس التاريخ. وبذلك صار الأمر واضحاً أكثر من أي وقت مضى، حيث أدركنا أنها فهمت الدلالة الكاملة للطرد، وعرفنا -في الوقت نفسه- أن علينا الانتظار لبعض الوقت قبل الحصول على أي مساعدة منها.

على أية حال فقد كنا في غنى عن مساعدتها؛ فالإجابات كانت بانتظارنا في مركز الشرطة حيث طلبت من ألغر أن يرسلها، ولم يكن أيٌّ شيء أكثرَ حسماً منها.

لقد كان منزل السيدة براونر مغلَقاً منذ أكثر من ثلاثة أيام، وكان رأي الجيران أنها سافرت جنوباً لزيارة أختيها، وقد تمّ التحقق من مكاتب الشحن وتأكد أن براونر غادر على متن السفينة مايداي.

وبحساب بسيط قدّرت أن السفينة ستصل إلى ميناء التيمز مساء الغد، ولدى وصولها وبراونر على متنها سيجد في استقباله ليستراد البليد الصارم، ولا شك عندي في أننا سنحظى بالتفصيلات كلها عندئذ.

* * *

لم تخب توقّعات شيرلوك هولمز، فبعد يومين تسلّم مظروفاً يحتوي على ملحوظة قصيرة من المحقّق ووثيقة مطبوعة ضمّت عدة ورقات كبيرة. قال هولمز وهو ينظر إليّ: لقد نال منه ليستراد، وقد يهمّك أن تسمع ما يقول:

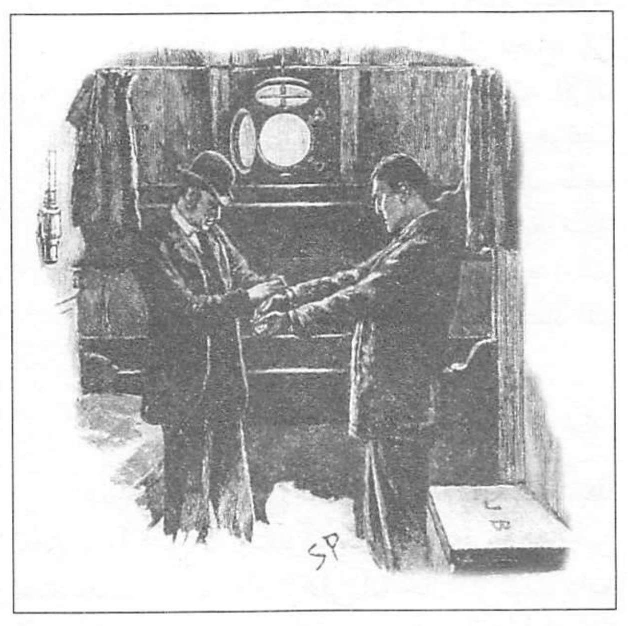
عزيزي السيد هولمز،
لقد قمتُ بموجب الخطة التي شكّلناها من أجل اختبار نظريتنا...

وهنا قال هولمز ضاحكاً: صيغة الجمع هنا لطيفة يا واطسون، أليس كذلك؟

ثم أكمل الرسالة:

... بالذهاب إلى رصيف ألبرت أمس في السادسة مساء، وصعدنا على متن السفينة البخارية مايداي المملوكة لشركة ليفربول ودبلن ولندن التجارية للشحن. وبالتحقيق

وجدت أن في السفينة بحّاراً يعمل مضيفاً باسم جيمس براونر، وكانت تصرّفاته في أثناء الرحلة غيرَ عاديّة مما أجبر قائد السفينة على إعفائه من واجباته. وحين دخلت إلى قمرته وجدته جالساً على أحد الصناديق ورأسه غارق بين يديه، وقد أخذ يهزّ نفسه بقوة. كان شاباً قوياً ضخماً حليق الوجه أسمر اللون جداً لدرجة أنه يشبه ألدريغ، ذلك الذي ساعدنا



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

في حل قضية الغسيل المزيَّف. وقد وثب واقفاً حين عرف وظيفتي حتى إنني وضعت صفارتي على شفتَيّ لأنادي اثنين من رجال الشرطة النهرية كانا يقفان خارجاً، ولكنه بدا بلا روح إذ مدّ يديه بمنتهى الهدوء لنضع له الأغلال، وقد أحضرناه معنا إلى الزنزانة.

أما الصندوق فقد اعتقدنا أننا سنجد فيه شيئاً يجرّمه، ولكننا لم نجد شيئاً ما عدا سكّيناً حاداً كبيراً مثل الذي يحمله معظم البحّارة. على أية حال فقد وجدنا أننا لن نحتاج إلى أدلّة دامغة، فحين أحضرناه طلب الإذن للإدلاء بالشهادة، وبالطبع فقد قام موظف الاختزال عندنا بكتابة شهادته، وقد طبعنا منها ثلاث نسخ أرفقت لك واحدة منها. لقد اتضح أن هذه القضية بسيطة جداً كما اعتقدتَ، ومع ذلك فأنا أجد نفسي ممتنّاً لك لمساعدتك لي في هذا التحقيق.

مع أطيب التمنيات، المخلص: ليستراد

علّق هولمز قائلاً: لقد كان حقاً تحقيقاً بسيطاً للغاية، ولكنني لا أعتقد أنه كان قد عرف ذلك حين استدعانا في بداية الأمر. على أية حال لنرَ كيف دافع جيم براونر عن نفسه. هذه هي شهادته التي أدلى بها

أمام المحقّق مونتغمري في مركز شرطة شاذْويل، وهي شهادة حرفية:

هل لديّ أي شيء أقوله؟ نعم، لديّ الكثير. يجب أن أعترف بكل شيء، ويمكنكم أن تشنقوني أو تتركوني وحدي، فأنا لا أهتمّ إطلاقاً، لأنه لم يغمض لي جفن منذ فعلت ذلك ولا أظن أنني سأنام ثانية حتى أموت. أحياناً أرى وجهه، ولكن في أغلب الأحيان أرى وجهها. لا يمرّ عليّ وقت دون أن يكون واحد منهما أو الآخر ماثلاً أمامي. هو يبدو عابساً مسوَدّاً، أما هي فعلامات الدهشة وعدم التصديق مرتسمة على وجهها. آه، هذه المخلوقة الوديعة، من الطبيعي أن تكون مدهوشة عندما ترى الموت على وجه لم ينظر إليها بأي شيء سوى الحب إلا نادراً.

ولكنها غلطة سارة، ولعل لعنة رجل محطَّم تقع عليها وتجعل دماءها تتعفن في عروقها! لا أقول ذلك لأنني أريد تبرئة نفسي؛ فأنا أعرف أنني لو عدت إلى الشراب من جديد لأصبحت كالوحش الذي كنتُه من قبل، ولكنها كانت ستسامحني وكانت ستبقى بقربي إلى الأبد لولا أن تلك المرأة قد ألقت بظلالها

الكئيبة على منزلنا. لقد أحبتني سارة، وذلك هو أساس الموضوع؛ أحبتني حتى تحوّل حبها إلى كراهية مسمومة عندما عرفت أنني أهتمّ بآثار أقدام زوجتي في الطين أكثر مما أهتمّ بها وبروحها وبكل ما فيها!

كنّ ثلاث شقيقات؛ الكبرى كانت امرأة جيدة، أما الثانية فكانت شيطاناً! وكانت الثالثة هي الملاك. كانت سارة في الثالثة والثلاثين وماري في التاسعة والعشرين عندما تزوجنا أنا وماري، وكنا سعيدَين يوم أسّسنا معاً منزلنا المشترك. لم تكن في كل ليفربول امرأة أحسن من ماري زوجتي، وعندما دعونا سارة لقضاء أسبوع امتدّ ليصبح شهراً، ثم تدرّج الأمر شيئاً فشيئاً حتى أصبحت سارة واحدة منا.

كنت آنذاك في فترة التعافي من الشرب وكنا ندّخر المال، وبدا كل شيء برّاقاً. يا إلهي! مَن كان يظن أن تصل الأمور إلى ذلك الحدّ؟ من كان يحلم بهذا؟

تعودت غالباً أن أعود إلى المنزل في نهاية الأسبوع، وفي بعض الأحيان حين تتأخر السفينة لحمولة ما كنت أقضي الأسبوع كله

متصلاً في بيتي، وبهذه الطريقة رأيت شقيقة زوجتي سارة كثيراً. إنها امرأة طويلة سمراء سريعة عنيفة، ولها طريقة ترفع فيها رأسها بفخر ولها لمعة في عينيها كشرارة من نار، ولكن عندما كانت ماري هناك لم أفكّر فيها قط، أقسم على ذلك، كما أتمنّى أن يرحمني الله.

لقد بدا لي أحياناً أنها تريد البقاء وحيدة معي أو ربما كانت تستدرجني لأقوم بنزهة معها، ولكنني لم أفكر قط في ذلك الأمر حتى جاء ذلك المساء الذي تفتحت فيه عيناي. كنت قد رجعت لتوّي من رحلة في السفينة ووجدت زوجتي في الخارج، ولكن سارة كانت في المنزل. سألتها: أين ماري؟ فقالت: لقد خرجت لتدفع بعض الحسابات.

كنت قليل الصبر أذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، فقالت: ألا تستطيع البقاء سعيداً لمدّة خمس دقائق دون ماري يا جيم؟ إن في ذلك إساءة لي، فأنت لا تستطيع أن تكون راضياً برفقتي ولو لمدة قصيرة من الزمن.

نظرتُ إلى عينيها وقرأت كل شيء؛ لم تكن بحاجة إلى الكلام، ولا أنا أيضاً، فقد وقفت

إلى جانبي في صمت، ثم أمسكت يدي بيديها جميعاً لوهلة، وبعد ذلك رفعت يدها وربتت على كتفي قائلة: جيم الملتزم القديم الطراز!

وبضحكة ساخرة خرجَت جرياً من الغرفة.

حسناً، من تلك اللحظة كرهتني سارة من كل قلبها وروحها. وهي امرأة قادرة حقاً على الكراهية، وكم كنت أحمق لأنني تركتها



Sydney Paget 1893 رسم سدني باجيت ١٨٩٣

تستمرّ بالسكن معنا! ولم أقُل شيئاً لماري لأنني كنت أعرف أن ذلك سيحزنها.

وجرَت الأمور بعد ذلك كالعادة، ولكنني بدأت أجد بعد فترة بعض التغيير في ماري نفسها، فقد كانت تثق بي على الدوام، ولكنها صارت منذ ذلك الوقت مهووسة وشكّاكة وتريد معرفة أين كنت وماذا كنت أفعل وممّن كانت خطاباتي وما الذي أحمله في جيوبي... والكثير من هذه الحماقات الصغيرة. ويوماً بعد يوم ازدادت ماري قلقاً وهوساً، وغرقنا في سلسلة من المشاحنات دون أي سبب!

حيّرني كل ما يحدث، وبينما تجنّبتني سارة في ذلك الوقت أصبحَت هي وماري لا تفترقان، وأستطيع الآن رؤية كيف كانت سارة تتآمر وتخطط وتسمّم أفكار زوجتي ضدّي. ولكنني كنت أعمى فلم أفهم ذلك في حينه، وخرقت العهد وبدأت بالشرب ثانية، ولكني أعتقد أنني لم أكن لأفعل ذلك لو ظلّت ماري على طبعها القديم. وعندئذ صار لديها سبب لتغدو مشمئزّة مني، واتسعت الهوة بيننا أكثر فأكثر، وفي ذلك الوقت تدخّل أليك فيربارين

فازدادت الأمور سوءاً ألف مرة.

لقد جاء لرؤية سارة في أول الأمر، ولكنه سرعان ما صار صديقاً لنا جميعاً. كان ذا أسلوب ناجح وكان باستطاعته تكوين صداقات أينما ذهب، فقد كان جريئاً وأنيقاً، لكنه كان ذكياً وملتوياً أيضاً، وقد رأى نصف العالم ويستطيع وصف ما رآه. لقد كانت صحبته مسلّية ولن أنكر ذلك، كما كانت عاداته لطيفة ومهذبة بالنسبة إلى بحّار.

وظلّ يتردد على منزلي لمدة شهر كامل، ولم يخطر ببالي لحظة واحدة أن أي مكروه سيحدث بسبب طُرقه الناعمة الملتوية. وأخيراً حدث ما جعلني أشكّ فيه، ومنذ ذلك اليوم فقدت راحتي إلى الأبد. كان مجرّد حادث بسيط، فقد دخلت إلى صالة الاستقبال على غير توقّع، وبينما أنا بالباب رأيت وجه زوجتي يضيء مرحّباً، وما إن رأتني حتى خبا ضياء وجهها واستدارت مبتعدة بنظرة فيها الكثير من خيبة الأمل!

لقد كان هذا كافياً، إذ لم يكن ممكناً أن تخطئ في سماع خطواتي وتعتقدني شخصاً آخر إلاّ أليك فيربارين، ولو رأيتُه وقتها لقتلته

لأنني أصبح مجنوناً حين أفقد أعصابي.

وقد رأت ماري الغضب على وجهي فجرَت إلى الأمام ويداها على أكمامي وقالت: لا تفعل يا جيم، لا تفعل.

سألتها: أين سارة؟

قالت: في المطبخ.

قلت وأنا متجه إليها: سارة، لا أريد هذا الرجل فيربارين أن يدنّس بيتي ثانية.

فقالت: لماذا؟

قلت: لأنني أمرت بذلك.

قالت: إذا لم يكن أصدقائي مناسبين لهذا المنزل فأنا مثلهم.

قلت: افعلي ما تريدين، ولكن إذا رأيت وجه فيربارين في هذا المنزل ثانية فسأبعث لك بواحدة من أذنيه كتذكار.

وقد خافت من وجهي على ما أعتقد، لأنها لم تنطق بكلمة وغادرت منزلي في ذلك المساء.

حسناً، أنا لا أعرف الآن ما إذا كان ذلك مجرّد شرّ خالص من جانب تلك المرأة أم

أنها اعتقدت أن بإمكانها إبعادي عن زوجتي بتشجيعها على التصرف الخاطئ. على أية حال فقد استأجرت منزلاً يبعد شارعَين عن منزلنا وأجّرت غرفاً للبحّارة، واعتاد فيربارين الإقامة هناك، وكانت ماري تذهب إلى بيت سارة لتشرب الشاي معه ومع أختها.

لا أستطيع أن أعرف كم مرة ذهبت إلى هناك، ولكني تبعتها في أحد الأيام، وعندما اقتحمت الباب هرب فيربارين من فوق سور الحديقة الخلفية كالجبان الحقير. وقد أقسمت لزوجتي أنني سأقتلها إذا وجدتها بصحبته مرة أخرى، وأخذتها معي وهي تبكي وترتعش ووجهها شاحب كورقة بيضاء، فلم يعُد للحب أثر بيننا. واستطعت رؤية أنها تكرهني وتخافني، وعندما حملني التفكير في ذلك على الشراب أصبحَت تحتقرني أيضاً.

حسناً، اكتشفَت سارة أنها لن تستطيع تحمل أعباء معيشتها في ليفربول فعادت لتعيش مع أختها في كرويدن كما فهمت، ومضت الأمور كالعادة حتى جاء الأسبوع الماضي وجاء معه كل البؤس والشقاء والدمار.

كان الأمر على هذا الحال حين ذهبنا في جولة

بحرية على متن مايداي لمدّة سبعة أيام، ولكن أحد البراميل تحرّر وخلع إحدى الصفائح المغلّفة لجسم السفينة، ولذلك اضطُررنا أن نرجع إلى الميناء لمدة اثنتي عشرة ساعة، فتركت السفينة وعدت إلى المنزل وأنا أفكّر في أنها ستكون مفاجأة لزوجتي.

وكان الأمل يحدوني بأنها ستكون سعيدة لرؤيتي بهذه السرعة، وكانت تلك الفكرة في رأسي حين انعطفت لأدخل شارعي، وفي تلك اللحظة مرّت عربة أجرة بجواري، وكانت ماري جالسة فيها بجوار فيربارين وهما يثرثران ويضحكان دون أن ينتبها إلى وجودي! ووقفت أراقبهما من الممشى.

أقول وأؤكّد لك إنني فقدت السيطرة على نفسي منذ تلك اللحظة، وحين أنظر إلى الوراء أرى كل شيء كحلم مبهَم، فقد كنت أشرب كثيراً حتى وقت متأخر، وكان الأمران معاً قد جعلاني أفقد عقلي بشكل تام. في رأسي شيء ينبض الآن كمطرقة في يد عامل على سطح مركب، أما في ذلك الصباح فقد بدا وكأن كل شلاّلات نياغارا تزأر وتطنّ في أذنَيّ!

حسناً، لقد اندفعت أجري وراء عربة الأجرة،

وكنت أحمل عصا من خشب البلّوط في يدي، وقد تأخرت قليلاً لأراهما دون أن يرياني. وتوقّفا عند محطة القطار، وكان أمام مكتب التذاكر حشد كبير فاقتربت منهما دون أن يلحظاني. واشتريا تذكرتين إلى نيوبرايْتون، وكذلك أنا، ولكني جلست بعدهما بثلاث عربات. وعندما وصلنا مشيا في الصف، وكنت دائماً خلفهما بما لا يزيد عن مئة متر، وأخيراً رأيتهما يستأجران قارباً ويشرعان



رسم رتشارد غوتشمت ١٩٠٨ Richard Gutschmidt 1908

في التجديف، فقد كان الجوّ شديد الحرارة ولا بدّ أنهما اعتقدا أن المياه ستكون ألطف. وكان الأمر كما لو أن أحداً قد وضعهما بين يدَيّ، فقد كان هناك بعض الضباب ولم تكن لترى لأكثر من بضع مئات من الأمتار، فاستأجرت قارباً لنفسي وانطلقت خلفهما، وكنت أستطيع رؤية قاربهما، ولكن لأنهما كانا يجدّفان بنفس سرعتي تقريباً فلا بدّ أنهما كانا على بعد ميل من البرّ قبل أن ألحق بهما، وقد كان الضباب يلفّنا كالستارة ونحن الثلاثة في وسطه.

يا إلهي! هل سأنسى أبداً وجهيهما عندما عرفا مَن كان في القارب الذي اقترب منهما؟ لقد صرخَت هي في حين أخذ هو يسبّ كرجل مجنون، وقفز عليّ بالمجداف. لا بدّ أنه رأى الموت في عينَيّ، فتفاديته وضربته بعصاي فحطمت رأسه كالبيضة. وبالرغم من كل جنوني فربما كنت قد أبقيت عليها لولا أنها ألقت بذراعيها عليه وهتفت باكية: أليك...

فضربت ثانية، فرقدت ممدَّدة بجواره!

كنت وقتَها كالوحش الهائج الذي تمّت إثارته، فلو كانت سارة هناك للحقَت بهما وأيم الله.

ثم سحبتُ سكّيني و... حسناً، لقد قلت ما يكفي، وقد شعرت بسعادة همجية حين فكّرت كيف كانت سارة ستشعر حين تصلها مثل هذه الإشارات كدليل على ما سبّبه تدخُّلها.

ووقفت حتى غرقا، وكنت أعرف أن مالك القارب سيظنّ أنهما فقدا طريقهما في الضباب وانجرفا إلى عمق البحر، فنظّفت نفسي وعدت إلى البرّ ولحقت بسفينتي دون أن يشكّ أحد



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

بما حدث، وفي تلك الليلة أعددت الطرد لسارة وأرسلته من بلفاست في اليوم التالي.

ها قد عرفتم حقيقة الأمر، فيمكنكم شنقي، أو فلتفعلوا بي ما تريدون، ولكنكم لن تعاقبوني كما عوقبتُ بالفعل، فأنا لا أستطيع إغلاق عينَيّ دون رؤية وجهَيهما يحدّقان إليّ كما فعلا حين اخترق قاربي الضباب. لقد قتلتهما بسرعة، ولكنهما الآن يقتلانني ببطء، ولو قضيت ليلة أخرى بهذه الطريقة فسوف أُجَنّ أو أموت قبل الصباح.

إنك لن تضعني في الزنزانة وحدي يا سيدي، أليس كذلك؟ رحمةً بي لا تفعل ذلك.

قال هولمز بكآبة وهو يضع الورق جانباً: ما معنى هذا يا واطسون؟ ما الهدف من دائرة البؤس والعنف والخوف؟ يجب أن ينتهي هذا إلى خاتمة ما، ولكن أي خاتمة؟ هذه هي المشكلة الكبرى الخالدة التي لم يستطع العقل الإنساني الإجابة عليها منذ الأزل.

* * *

-تمت-

صدر من هذه المجموعة

مغامرات شيرلوك هولمز

(١) فضيحة في بوهيميا

(٢) قضية هوية

(٣) عصبة ذوي الشَّعْر الأحمر

(٤) لغز وادي بوسكومب

(٥) بذور البرتقال الخمس

(٦) ذو الشّفة الملتوية

(٧) مغامرة الجوهرة الزرقاء

(٨) لغز العصابة الرقطاء

(٩) مغامرة إبهام المهندس

(١٠) مغامرة النبيل الأعزب

(١١) مغامرة تاج الزمرّد

(١٢) منزل الأشجار النحاسية

ذكريات شيرلوك هولمز

(١) ذو الغُرّة الفضية
(٢) لغز الطرد البريدي
(٣) لغز الوجه الأصفر
(٤) مغامرة موظف البورصة
(٥) سفينة «غلوريا سكوت»
(٦) وصية عائلة موسغريف
(٧) لغز بلدة ريغيت
(٨) مغامرة الرجل الأحدب
(٩) لغز المريض المقيم
(١٠) مغامرة المترجم اليوناني
(١١) وثائق المعاهدة البحرية
(١٢) المشكلة الأخيرة